هوامش

يتبع تونسيون الطريقة الكركرية الصوفية التي وصلت إلى البلاد ونشأت في الأعوام الأخيرة، وكثيراً ما يستغرب الناس أثوابها الملونة التي يرتديها النساء والرجال

أحد اتباع الطريقة الكركرية (العربي الجديد)

«فقراء» الكركرية

طريقة صوفية بألوان مميزة في تونس

تونس ـ **مريم الناصري**

باختصار

توجد «زاوية» مرخصة من قبل السلطات لمتبعي الطريقة الكركرية في العاصمة تونس، يجتمع فيها المريدون للحضرة كما تسمى لدى الصوفيين، حيث يؤدون الذكر والابتهالات

■■■

التونسيين يعلمون بوجود أناس يتبعون الصوفية في حياتهم لكنهم استغربوا طريقة اللباس التي بدت لهم وكأنها لباس مهرجين بسبب كثرة الألوان فيها، لكنها ألوان ترمز إلى الدفء والمحبة الروحية

يرتدون أزياء ملونة بالأحمر والأصفر والأخضر وغيرها، ويجتمعون على شكل حلقات في زاوية مخصصة للتعبد وممارسة طقوسهم الدينية. والزاوية هنا ليس المقصود بها ركن البيت، ولكن مقامات الأولياء وأماكن تعبد الصوفيين في تونس. ويُستعمل هذا اللفظ غالباً في دول شمال أفريقيا التي تنتشر فيها الصوفية.

مرتدو هذا النوع من اللباس يُسمون بمتّبعي الطريقة الكركرية، وهي إحدى الطرق الصوفية التي ظهرت حديثاً في دول شمال أفريقيا ونشأت في تونس منذ أكثر من سنة. وعُقد مؤتمرها الأول العام الماضي بعنوان «تعريف الطريقة الكركرية، طريقة النور والمشاهدة» للتعريف بهذه الطريقة وكلّ ما تتضمنه من عادات وتصرفات وأزياء وطقوس. ويسمي أتباع هذه الطريقة أنفسهم بـ «فقراء» الكركرية.

والطريقة الكركرية هي «طريقة تربوية تهدف إلى إيصال العباد إلى تحقيق مقام الإحسان حتى يتمكنوا من الجمع بين العبادة والشهود وبين السلوك والمعرفة، لتكون حياتهم كلها لله رب العالمين. لذلك تدعو أتباعها إلى الالتزام بالكتاب والسنة في كل أحوالهم لأنها تؤمن أن وراء كل فعل من أفعال الشريعة المطهرة سر ملكوتي وقبضة نورانية تجمع العبد مع مولاه وتنسيه كل ما سواه، ولا يتم ذلك إلا من خلال اتباع منهاج الشيخ المربي الذي يصف الدواء المناسب لكل سالك».

أما لباسهم الذي يُسمى «المرقعة»، فهو «ثوب عبارة عن رقاع كثيرة ملونة أو غير ملونة من صوف أو شعر أو جلد، وهي اصطلاح لمظهر التستر بالجمال الذاتي الباطن في فرق الأسماء، المتجلي بألوان حضرة القوس العلوي، وإعلان مبايعة النفس للروح للدخول والترقي في مراتبها».

وتوجد «زاوية» مرخصة من قبل السلطات لمتّبعي الطريقة الكركرية في العاصمة تونس، يجتمع فيها المريدون للحضرة كما تسمى لدى الصوفيين، حيث يؤدون الذكر والابتهالات. ويقول محمد عبد الغفار، أحد مريدي تلك الطريقة، لـ «العربي الجديد»: «نُعرّف أهداف الطريقة الكركرية بكونها الوصول إلى الله تعالى والتحقق من معرفته المعرفة القلبية على بساط الشهود والمشاهدة، كما تهدف إلى نشر المحبة والسلام بين الخلق». ويوضح أنها دعوة تصالح مع الخالق والمخلوق وبين الذات والغير، وتهدف إلى تخليص المُريد من قيود الهوى والنفس، حتى يكون حراً مما سوى الله تعالى. ولكي يصل إلى مبتغاه، عليه أن يتحقق بالقاعدة الكبرى في الطريقة وهي استحقر نفسك وعظم غيرك فمن نظر إلى نفسه بعين النقص وإلى غيره بعين الكمال قلت عيوبه وكثرت حسناته وعظم نوره».

يضيف أنّه «صوفي ولد في عائلة صوفية لكنّه بات يتّبع هذه الطريقة الجديدة التي ظهرت في تونس منذ أكثر من عام». فبعد اطلاعه على كل الطرق الصوفية بما فيها الطريقة الكركرية، أعجب بطريقة لباس الأخيرة وطريقة ذكرهم وحضرتهم فاتبعها». ويقول إنّها «ظهرت بداية في مدينة العروي شمال المغرب، ويعود اسمها أساساً إلى جبل كركر في جماعة أفسو القروية. وأول شيوخها هو أحمد العلوي المستغانمي، والثاني هو الشيخ الطاهري الكركري. وظهر شيوخ لتلك الطريقة ليتبعها مريدوها وآخرهم محمد فوزي الكركري شيخ الزاوية اليوم».

من جهة أخرى، يشير عبد الغفار إلى أنّ «التونسيين يعلمون بوجود أناس يتبعون الصوفية في حياتهم لكنهم استغربوا طريقة اللباس التي بدت لهم وكأنها لباس مهرجين بسبب كثرة الألوان فيها. لكنها ألوان ترمز إلى الدفء والمحبة الروحية». ومن نشاطات تلك الزوايا ما يعرف بـ «الحضرة» التي يتجمع فيها العديد من الأشخاص، ويرددون ابتهالات دينية بإيقاع واحد. لكن تختلف كلّ طريقة صوفية عن الأخرى في الورد والذكر والابتهال».

لا يتبع تلك الطريقة الرجال فقط، بل حتى النساء ويطلق عليهن اسم «كركريات». ويرتدين اللباس نفسه أي العباءة الطويلة التي تسمى لديهم بـ «المرقعة» ملونة قد يتجاوز عدد ألوانها العشرة. ويرتدين أيضا السبحة في رقابهنّ، يحضرن الزاوية خلال الحضرة من دون الاختلاط بالرجال. يسمعن الذكر والتلاوة ويرددنها.

بدورها، تقول لبنى (37 عاماً) والتي تتبع تلك الطريقة لـ «العربي الجديد»، إنّها «طريقة صوفية لا تختلف كثيراً عن بقية الطرق الصوفية التي تعتمد على الاتصال الروحي بين الناس في ما بينهم من جهة، وبينهم وبين الله من جهة أخرى. لكن تختلف طريقتا لبسهم وحضرتهم. وقد يجتمعون في الساحات والمناطق المفتوحة البعيدة عن التجمعات السكانية. يجلسون على شكل حلقات ويتبادلن الذكر كما يفعل الرجال. يذكرون الله ورسوله وكلّ القيم الإنسانية».

بعد موجة الانتقادات والاستغراب من تلك الطريقة على مواقع التواصل الاجتماعي، وتداول صور لاجتماعات تلك الفرق الصوفية، أصدر اتحاد الطرق الصوفية بتونس بياناً جاء فيه أنه قام بالتقصي والتثبت عن قرب من تلك الطريقة، وتبيّن أنّها «طريقة صوفية وفق منهج الكتاب والسنة لا تشوبها البدع. أما ما يظهر من اختصاصها بالقيام بأعمال تميّزها عن الطرق الأخرى كالقيام بالحضرة ولباس المرقعة بألوان متعدّدة ووضع السبحة في العنق والخروج في الساحات فهو أمر كان قد درج عليه مشايخ الصوفية منذ أحقاب طويلة.

وبعد الاطلاع على مؤلفاته ودواوينه وحكمه وأوراده ومذاكراته والاستماع إليه ولشهادات مريديه وأتباعه والحضور إليه، تبيّن أنّ الشيخ محمد فوزي كركري صاحب همة عالية وله قدم راسخة في مجال الحقيقة الربانية والعلوم الإلهية».

وأخيراً

في شأن الاعتداء على النساء

رشا عمران

حكت لي صديقة يوماً، في معرض حديث عن التحرّش والاعتداء على النساء، أنها تعرّضت مرة لتحرّش من صديق مشترك، مثقف تنويري يساري ومتحدّث عظيم، كان يجلس بجوارها في سهرة عشاء في بيتها، حين فوجئت به يضع يده على ساقها من تحت الطاولة. أخذت يده وأعادتها إلى مكانها أول مرّة، لكنه كرّر المحاولة عدة مرات، حتى رفعت صديقتي صوتها، وقالت له أمام الجميع: «دعوتك إلى بيتي صديقاً يقدّر الصداقة، هذا لا يعني أنني أرغب في معاشرتك»، ثم طلبت منه مغادرة منزلها بسرعة. لم يقتل الصديق الرفيق صديقتنا طبعاً لرفضها له، لكنه لم يترُك مناسبةً لم يشتمها بها أو يصفها بأقذع الصفات أو يشهّر بها وبسمعتها العائلية والأدبية. لم يسفك دمها، لكنه فعل ما هو موازٍ لسفك الدم: كراهية شديدة تصل إلى الإعدام المعنوي. والحقيقة أنه نادراً ما نجت إحدى العاملات في الوسط الثقافي أو الفني السوري من التحرّش من «أصدقاء» مبدعين متنوّرين، وهو حال أوساط ثقافية وفنية في غالبية البلاد العربية، ما يدلّ على حالة فصامٍ يعيشها مثقفون عرب تائهون بين ما يريدون أن يكونوا عليه ونشأتهم في مجتمعات وبيئات بالغة الذكورية. والحال أنه نادراً ما حدث أن تقبّل ذكرٌ ما رفض الأنثى له. سيعتبر هذا انتقاصاً من رجولته، وإن كان الرفض علنياً فهو بمثابة طعنة للذكورة المفترضة. والحدث هنا عن الذكور عامة في كل المجتمعات، وليس فقط في مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فمنذ أن حل المجتمع الأبوي ذو المنظومة التوحيدية مكان المجتمع الأمومي المتعدّد، جرى فرض السلطة الذكورية التي تدعّمت مع الزمن بنصوص دينية بطريركية تحاول الانتقام من مرحلة العصر الأمومي، عبر إقصاء النساء إلى الأنساق المجتمعية الخلفية في كل شيء؛ من دون أن يتغير الأمر كثيراً في العصور الحديثة، حيث ما زالت النساء، رغم نشاط النضال النسوي في العالم، يعانين من التمييز والتعنيف الذكوري النفسي والجسدي والجنسي، والذي يصل إلى القتل أو الذبح. وهنا أيضاً ليس الحديث عن مرضى نفسيين وقتلة متسلسلين، بل عن رجالٍ عاديين قد يكونون في غاية اللطف أو رجال مبدعين في مجالاتهم العملية والعلمية والفنية. نتحدّث ربما أيضاً عن أزواج وآباء تبدو حيواتهم للآخرين مستقرّة وهادئة، لكنهم يعانون نوعاً من الاضطراب المشابه لاضطراب الشخصية الحدّي، لكنه اضطراب مجتمعي سلطوي، يمنح أصحابه الحق في استباحة أجساد النساء المحيطات بهم واستباحة حيواتهن واعتبارهن موجوداتٍ في الحياة، ولكن تابعات ومتكيّفات مع رغبات الذكر المعيشية اليومية والجنسية.

وتعزّزت هذه السلطة مع الخوف النسوي من الرفض المستند إلى تربية مجتمعية تطالب الأنثى، منذ ولادتها، بالطاعة، إذ لطالما ترافقت صورة البنت المطيعة مع الصورة المثالية لما يجب أن تكون عليه الأنثى. يتربّى الذكر والأنثى على هذه التراتبية، الانزياح الذي سيحصل لاحقاً نتيجة النضال النسوي، ونتيجة انفتاح العالم بعد ثورة وسائل الاتصالات، وتعوّد الإناث على الرفض سوف يؤدي إلى شعور الذكر بالإهانة والانتقاص من مكانته وسلطته المعتادة، وبالتالي الانتقاص من شخصيته الذكورية الجنسية، فرفض الأنثى له هو رفض مكتسب له يعتقد أنه مُستحَقّ تاريخياً ومجتمعياً ودينياً؛ رفض للسلطة التي تبيح له مكسب العقاب أيضاً، فيعنّف ويضرب ويشتم ويسيء ويؤذي ويعتدي وينتهك ويقتل ذلك الجسد الآخر الذي يتمرّد على تاريخ من الرضوخ والخنوع والقبول والصمت. ورغم أن العالم المتقدّم بات يعاقب المعتدي بقوانين صارمة، معتبراً التعنيف والاغتصاب والاعتداء الجنسي جرائم تستحق العقاب، عكس مجتمعاتنا التي ما زالت تحظى بسيطرة ذكورية على القوانين وعلى المنظومة المنفذة للقوانين، فإن جرائم الاعتداء على النساء، إنْ خفّت، إلا أنها مستمرّة، ولن تنتهي هذه الظاهرة قريباً. وفي مجتمعاتنا العربية هي مؤهلة للزيادة أو على الأقل ستزداد معرفة الناس بها بسبب وسائل التواصل، ذلك أننا في البلاد العربية والإسلامية نعيش حالياً في مرحلة الوسط بين الانتقال إلى الحداثة المجتمعية وما يلزمها من قوانين مناسبة وبين التمسّك بالرجعية المجتمعية ومحاولة الحفاظ على مرجعياتها القانونية والدينية، حيث ستدافع السلطة الذكورية عن وجودها بشراسةٍ قد تزيد من معدلات الجرائم المرتكبة بحق النساء والبنات، إلى أن يحدُث التغيير المرجو وتتغير معه القوانين المتعلقة بجرائم كهذه.

> جرائم الاعتداء على النساء، إنْ خفّت، إلا أنها مستمرّة، ولن تنتهي هذه الظاهرة قريباً

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50** Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**